مؤتمر دولي في بيروت يبحث علاقة وسائل الإعلام بالإسلام

الباحثون الغربيون يبرئون الدين الحنيف من دم.. الإرهاب!

الدكتور رامز معلوف منظّم المؤتمر و«بتينا غرايف».

أربعون باحثاً متخصصاً في الشؤون الإعلامية والإسلامية جاؤوا من حول العالم الى الجامعة اللبنانية الأميركية في بيروت للمشاركة في المؤتمر الدولي الخامس للإعلام الذي ينظمه معهد بيروت للفنون الإعلامية (BIMA) في الجامعة، والذي تناول على مدى يومين علاقة الإسلام والإرهاب كما يصورها الإعلام والبرامج الدينية عبر التلفزيون و«الانترنت» وتأثيرها السياسي والاجتماعي. وتميز المؤتمر بوفرة المتخصصين الذين تدارسوا علمياً وأكاديمياً في العلاقة بين الدين والوسيلة الإعلامية وكان إجماع من المؤتمرين على ضرورة تصحيح الصورة الخاطئة التي عكستها أحداث ١١ ايلول (سبتمبر) وما تلاها عن الإسلام في وسائل الإعلام المختلفة.

«الأفكار» حضرت المؤتمر والتقت على هامشه عدداً من الباحثين والمهتمين بصورة الإسلام في الإعلام وكانت البداية مع مديرة تحرير موقع «إسلام أون لاين» الإسلامي الالكتروني مروى النجار التي عرفتنا على موقعها وعلى هدف المشاركة في هذا المؤتمر بقولها:

ـ موقعنا ليس موقعاً مصرياً بل هو موقع عالمي لناحية جمهوره المنتشر في أرجاء المعمورة، ولكن معظم الأعمال التحريرية تجري داخل مكتبنا في القاهرة. وبما أن موقعنا إسلامي وبما أن موضوع هذا المؤتمر هو الإعلام والدين في الشرق الأوسط فكان من الطبيعي أن نشارك في هذا اللقاء العلمي الأكاديمي.

لا.. ليس ترويجاً للارهاب!

ونقول لمروى إن موقعها متهم بالترويج للإسلام المتطرف وللإرهاب بحسب البعض بدليل أن بيانات تنظيم «القاعدة» تنشر على هذا الموقع من ضمن مواقع أخرى. فترد:

ـ فضائية «الجزيرة» تنشر هذه البيانات. فهل يجعلها هذا متهمة بالترويج للإرهاب؟ وإذا قلت نعم أقول لك إن هذه البيانات تذيعها أيضاً هيئة الإذاعة البريطانية «BBC»، فمن يمكنه اتهامها «البي بي سي» بالترويج للإرهاب؟ إن مهمة الإعلام أساساً هي نقل ما يقوله زيد أو عمر من الناس وهذا ما نقوم به ونحن ننقل الرأي والرأي الآخر، وهناك حوارات حية تجري من خلال موقعنا وفي أحيان كثيرة لا يكون المحاور متفقاً معنا.

وتتابع النجار:

ـ الانترنت عالم واسع ومفتوح وممكن من خلاله بث أفكار خاطئة عن الإسلام كما يمكن فعل ذلك من خلال أية وسيلة أخرى. ومن هنا نعتبر أن إيصال الصورة الصحيحة هو تحد أمامنا ومن هنا نسعى لكي يكون كل ما ينشر على موقعنا صورة حقيقية لجوهر الإسلام، لأن صورة الإسلام ولـلأسف شوهت كثيراً في العالم وأصبحت في كثير من وسائل الإعلام مرادفاً للإرهاب.

وعن تعريف موقع «اسلام أون لاين» للارهاب تقول النجار:

ـ ليس هناك من تعريف واحد للارهاب ولذلك نحن نحاول أن نضع كل حدث يجري في سياقه الصحيح وليس لنا أن نصنف هذا العمل أهو إرهابي أم مقاوم أم استشهادي إلا عندما نضعه في إطاره الصحيح.

ونقول للنجار: ولكنكم تصفون هذه العملية بالاستشهادية وتلك بالمقاومة. فما هي عناصر هذا الوصف؟

فتجيب:

ـ لا أعلم، فكوني مديرة تحرير في الموقع لا يحتم عليّ بالضرورة أن ألم بكافة المواضيع!

وتترك النجار محترمين صراحتها وجرأتها على قول «لا أعرف»، الى من يعرف أكثر منها قليلاً في موضوع الإعلام وهو الدكتور الأميركي «رالف بارنجر» وهو أستاذ مساعد لمادة الإعلام في الجامعة الأميركية في القاهرة، يقول «بارنجر»:

ـ في ظل الظروف التي نعيشها إن موضوع هذا المؤتمر هو هام للغاية، فبالنسبة للكثيرين ممن يقومون بالأعمال الوحشية في العالم هم يتخذون من الإسلام مظلة يغطون بها أعمالهم. وأنا أعتقد أن الاسلام ومعظم المسلمين في العالم براء مما يقوم به هؤلاء فتفجيرات «بالي» في اندونيسيا مثلاً مرتبطة بإسلاميين متطرفين يعكسون صورة خاطئة عن الإسلام. فالعالم بأسره يحاول اليوم أن يتعرف أكثر الى هذه الديانة وهو يتساءل: هذه ديانة السلام فلماذا تقود متطرفيها الى هكذا أعمال وحشية ولماذا يقوم هؤلاء بقتل الآخرين باسم الدين؟ ومن هنا أجد أن بحث هذا الموضوع مهم جداً وأن هكذا مؤتمرات تجمعنا باختصاصيين من حول العالم تساعدنا على التركيز على هذا الموضوع وتؤمن لنا مواد ما كانت لتتأمن خارج هكذا مؤتمر.

«بارنجر» وتفجير القطار

ويتابع «بارنجر»:

ـ من هنا أتقدم بالتهنئة للدكتور رامز معلوف على جهوده المميزة لإنجاح هذا المؤتمر الناجح جداً. وعن الإرهاب أقول إنه جدل عقيم أن أقول إن إرهابي هنا هو بالنسبة لبلاده مدافع عن الحرية. فأين هو الدفاع عن الحرية عندما تفجر قطاراً مليئاً بالمدنيين الأبرياء، أو عندما تذهب الى منتجعات سياحية في «بالي» وتفجر السياح الأبرياء هناك؟ فقبل بضعة أسابيع كتب أحد أصدقائي من أساتذة الجامعة في القاهرة وهو مسلم مقالاً رائعاً حول الممارسات الحالية التي يقوم بها البعض باسم الإسلام والتي لا تمت الى ما مارسه المسلمون في الماضي بصلة! ففي الحرب الجزائرية لم يسقط مدني واحد وإذا فجأة يصبح الأبرياء مستهدفين فقط لأنهم يختلفون معنا في الرأي مع أنهم مسلمون شأن قتلتهم. فأين الاسلام من هذا؟ ولذلك علينا أن نفهم لماذا يقوم هؤلاء بأعمال العنف باسم الإسلام وما زلنا نبحث عن الإجابة ولكن المهم في الموضوع أننا بدأنا الحديث عن هذا الموضوع والنقاش فيه.

ويكمل «بارنجر»:

ـ عن دور وسائل الإعلام في نقل الصورة الحقيقية للاسلام أحيلك الى فضائية الجزيرة، التي حتى العام ٢٠٠٣ كان المشاهد الغربي يتلقاها بصورة سلبية الى أن كان ذاك الوثائقي الرائع الذي دفع بالمشاهد الأميركي العادي الى التساؤل: «ما الذي تفعله قناة «الجزيرة»، ولا تفعله قناة «CNN»؟ لا شيء إنهم يفعلون الأمر عينه ولكنهم يستعملون لغة أخرى لا نفهمها نحن». واليوم لا تكاد تسمع أي انتقاد على الصعيد الوطني الأميركي لعمل فضائيتي «الجزيرة» و«العربية» لأن المجتمع الأميركي فهم أن هاتين المحطتين تقومان بعملهما وتتوجهان الى جمهورهما الخاص وتفعلان تماماً كما تفعل أية قناة أميركية، وحتى عندما تبث إحدى المحطتين موضوعاً أو صوراً شائكة فهذا الأمر بات مفهوماً لأن الوسيلة الإعلامية تحاول جهدها للحصول على «Good Story» أي قصة جيدة، وحين تحصل عليها ستذيعها لا محالة. والإعلام الأميركي يفعل الأمر عينه. ولكن التطور الذي طرأ على عمل «الجزيرة» هو تأكدها من مصدر وصحة المادة الإعلامية قبل بثها وهذا ما رفع مصداقيتها وزاد عدد مشاهديها. والمعركة اليوم في العالم العربي على صعيد الفضائيات ستكون معركة «الأكثر صدقية». ونحن في الجامعة الأميركية في القاهرة قمنا بالدراسة تلو الدراسة لمعرفة من هي الفضائية الأكثر صدقية بالنسبة للمشاهد العربي ولقد تبين لنا أن «الجزيرة» هي وبفارق كبير المحطة الأكثر مصداقية عربياً تتبعها وبفارق كبير «العربية».

ثم أردف يقول:

ـ وعندما نتكلم عن «الجزيرة» فنحن نتكلم عن ٥٠ مليون مشاهد أي ما يجعلها أكثر قناة فضائية مشاهدة. فهي أكثر جمهوراً من «BBC World» التي لا يزيد عدد مشاهديها عن ٣٥ مليوناً حول العالم وأكثر جمهوراً من «CNN» (٣٢ مليوناً). ومن هنا علينا أخذ «الجزيرة» على محمل الجد وعليها بدورها أن تأخذ نفسها على محمل الجد. وأعتقد أنها بدأت تفعل ذلك لأنها وضعت «ميثاق شرف» يحدد عملها الإعلامي، وهذا جيد جداً.

«بتينا» والشيخ القرضاوي

والى الباحثة الألمانية «بتينا غرايف Bettina Graif» من مركز الدراسات المشرقية الحديثة في برلين التي أنعم الله عليها ببهاء الطلة الآسرة وعمق الثقافة وسعة الآفاق التي تعكسها خضرة عينيها. و«بتينا» الألمانية تخالها إبنة سيبويه عندما تضبط إبرة لسانها على موجة لغة الضاد فهي تتقن العربية وتتكلمها بطلاقة الى جانب الإنكليزية والفرنسية وطبعاً الألمانية.

«غرايف» شاركت في المؤتمر انطلاقاً من مجال عملها في مركز الدراسات المشرقية ومن أطروحة الدكتوراه التي أعدتها حول فتاوى الشيخ يوسف القرضاوي عبر موقعه على الإنترنت ولاقت هذه الأطروحة اهتماماً بالغاً، وجرى نقاش بين الحضور والمحاضرة الألمانية. فلماذا اهتمت «غرايف» بالإسلام أساساً وبالشيخ القرضاوي تحديداً؟

«بتينا» المجازة في العلوم السياسية حصلت شهادة الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية وأعدت أطروحة الدكتوراه حول «الفتاوى والإعلام الالكتروني»، ومجال البحث التطبيقي كان فتاوى الشيخ يوسف القرضاوي. أما لماذا اختارت «بتينا» هذه الأطروحة تحديداً فلأنها اهتمت بالفتاوى وأرادت دراسة الفارق بين إصدار الفتاوى ونشرها وكيفية تلقيها. وحاولت قياس ما إذا كان التغيير قد طاول مضمون فتاوى الشيخ القرضاوي ولكنها أدركت أن هذا ليس صلب موضوعها ودراستها فانتقلت الى دراسة هيكلية موقعه على الانترنت وكيفية تنظيمه وعدد الأشخاص الذين يشرفون على الموقع ونوعيتهم وعدد زوار الموقع ونوعيتهم وكيفية تلقيهم للفتاوى.

عن صورة الإسلام في الإعلام الأوروبي وتحديداً الإعلام الألماني تقول «بتينا» إنها بحسب ما ترى فإن هناك سوء فهم واضحاً للإسلام فالناس عندهم مفاهيم خاطئة جداً عن حقيقة الإسلام، وهناك ما يشبه لعبة «البينغ بونغ» بين الإسلام والسياسة ودمج بين ما يجري في أي مكان في العالم والاسلام. وهذا الأمر للأسف يتفاعل بشكل كبير في ألمانيا والرأي العام الألماني بات متخوفاً جداً من الإسلام. فقبل نحو شهرين أجري استطلاع للرأي في ألمانيا جاءت نتيجته مخيفة فعلاً إذ إن نحو ٦٠ بالمئة من الألمان اعتبروا أنه يستحيل عليهم أن يعيشوا مع المسلمين.

وتعلق «غرايف» قائلة:

ـ نتيجة هذا الاستطلاع صدقني زرعت الرعب في قلبي لأن هؤلاء المستطلعين لا يجهلون الإسلام فقط بل أيضاً المسلمين. فأنا أفهم أن يجهل الألماني حقيقة الدين الإسلامي أما أن يجهل الإنسان المسلم ويرفض العيش معه فهذا ما لا أفهمه وهذا ما يدل على عدم كفاية معلومات الألمان عن الإسلام والمسلمين.

ونسأل الباحثة الألمانية عما يمكن القيام به لتصحيح صورة الإسلام والمسلمين في ألمانيا فتجيب: هذا السؤال جداً مهم. ففي ألمانيا كل شيء يجب أن يكون منظماً ومطابقاً للقوانين وإذا لم يكن كذلك فلا جدوى منه. ولكي يكون عملك منظماً في ألمانيا فهذا يتطلب المال والدعم. واليوم نجد أن الجالية المسلمة في ألمانيا المكونة من العرب والأتراك وبخاصة من الأتراك، تواجه مشاكل جمة لكي يتم الاعتراف بها كمجموعة دينية لأنها لم تنتظم بما فيه الكفاية حتى تتوافر فيها الشروط التي يفترضها القانون. فكما قلت لك كل شيء منظم بدقة متناهية في ألمانيا وإذا لم تكن أنت منظماً فلا يسعك الإنخراط في النظام. وهنا يأتي دور الجالية المسلمة في تركيا التي تقع على عاتقها مسؤولية الانتظام والتغلب على الصراعات الداخلية التي تتنازعها. فالمسلمون الألمان لا يزالون يختلفون في ما بينهم هل يكون الاعتراف بنا كمجموعة دينية مسلمة على أساس أننا سنة أم شيعة أم علويين وهل تضم الطائفة الألمانية المسلمة كل المسلمين أم بعضهم؟ وهذا ما يزيد صعوبة فهم المجتمع الألماني للخلافات والاختلافات بين المسلمين الألمان.

الدكتور «رالف بارنجر»: مشاهدو الجزيرة ٥٠ مليوناً مقابل ٣٥ مليوناً لـ «BBC» و٣٢ مليوناً لـ «CNN».

مروى النجار مديرة تحرير موقع «إسلام أون لاين»: لا تعريف للإرهاب!

وعن دور وسائل الإعلام في المانيا في تصحيح صورة الاسلام تقول:

ـ المساحة الإعلامية واسعة جداً في المانيا وهناك بعض المؤسسات الإعلامية التي وعت وجود صورة منمطة عن الإسلام وبخاصة عندما تتحول هذه الصورة الى مصدر لإطلاق فرضيات سياسية. مع هذا فإن المؤسسات الإعلامية الرئيسية في ألمانيا تحاول قدر استطاعتها أن تكون موضوعية.

ونسأل «غرايف» لماذا لا تقوم هي وزملاؤها العارفون بحقيقة الإسلام بتصحيح هذه الصور في الإعلام فتقول:

ـ نحن نحاول ذلك ولقد كتبت أنا وزملائي عدة مقالات في الصحف الألمانية في هذا الموضوع ولكن هذا الأمر ليس متاحاً لنا دائماً. فالصحيفة تقول إنني أكاديمية وما أكتبه وإن كان صحيحاً ومهماً ولكنه صادر عن أكاديمي وبلغة أكاديمية وليس صحافية، ومن هنا المطلوب أن يقوم الصحافيون بهذا العمل، لأنني لا أستطيع أن أقدم للقراء إجابات سهلة ومبسطة حول مواضيع الاسلام الشائكة.

وأخيراً عن بن لادن تقول:

ـ للأسف لقد غير هذا الرجل صورة الإسلام في العالم كثيراً وحوّلها الى صورة بشعة وسيئة، ولتصحيح هذه الصورة لا بد من بذل جهود ضخمة ومنسقة. ومن هنا أقول إن على القوى الإسلامية المعتدلة أن تقوم بهذا الجهد وما يفعله الشيخ يوسف القرضاوي الذي توليت دراسة موقعه الالكتروني يصب في هذه الخانة. ولكن عندما يبذل القرضاوي كل هذه الجهود لتصحيح صورة الإسلام ونجد في أوروبا من يتهم القرضاوي بأنه إرهابي فهذا دليل على عدم فهم الأوروبيين لرسالة القرضاوي.

معلوف والتوجيه التصحيحي

وفي الختام لقاء مع الدكتور رامز معلوف الأستاذ في الجامعة اللبنانية الأميركية ومنظم هذا المؤتمر العالمي. وعن السبب وراء الدعوة لهكذا مؤتمر وهل للأمر علاقة بازدياد تشوه صورة الإسلام في الإعلام يقول الدكتور معلوف:

ـ إطلاقاً ليس السبب أو الهدف وراء هذا المؤتمر هو تصحيح صورة الإسلام في الإعلام فنحن اكاديميون وباحثون ندرس الظواهر والوقائع ولا قدرة لنا على التغيير وليس هذا دورنا أساساً. فانطلاقاً من مجالات تخصصنا، نحاول أن ندرس تأثيرات الوسائل الإعلامية المتخصصة كلياً أو جزئياً في الإعلام الديني على المجتمعات ولاسيما على مجتمعنا العربي وكيفية تلقي المشاهد والمستمع والقارىء للبرامج الدينية وكيفية تفاعله معها. وتطرقنا أيضاً الى كيفية تأثير البرامج غير الدينية على الدين وجوهره، فـ«سوبر ستار» مثلاً يؤثر على الدين وعلى مدى اقتراب المؤمن من دينه او الابتعاد عنه، وكذلك برامج بالجملة.

ويتابع معلوف:

ـ دورنا كأكاديميين مجتمعين هنا ليس إذاً تغيير المجتمع ولا تغيير صورة الإسلام أو تصحيحها ولكن هذا لا يمنع أن يكون بعض المشاركين يعملون على هذا الموضوع ولكن هذا ليس الهدف من اجتماعنا.

ونسأل الدكتور معلوف عن الداعية المصري عمر خالد الذي وعد بالمجيء الى المؤتمر ثم اعتذر. فأجاب:

ـ لقد دعوت الداعية خالد للمجيء وتحدثت وإياه عبر الهاتف بهذا الخصوص ووعدني بالحضور ولكنه اعتذر لأنه مرتبط بتسجيل برامج رمضانية في السعودية، ولكنه أيضاً أشار خلال اعتذاره الى أنه لا يهتم كثيراً بالتوجه الى جمهور من الأكاديميين أو على الأقل هذا الموضوع ليس في أول سلّم أولوياته.

وعن المشاركة الأجنبية الواسعة في المؤتمر وضآلة عدد الباحثين العرب في موضوع إسلامي يعنيهم يقول:

ـ هذا صحيح، فالباحثون الغربيون هم أكثر عدداً من الباحثين العرب ووراء هذا أسباب عدة أولها أن الجامعات في الدول العربية لا تساعد اساتذتها وتشجعهم على القيام بأبحاث ودراسات، وكذلك فإن هذه الجامعات لا تشجع اساتذتها مادياً ومعنوياً على المشاركة في المؤتمرات العلمية. فإذا لم نقم نحن بتقديم تذكرة الطائرة والإقامة في لبنان، لا يأتي الباحثون العرب لأن معاشاتهم لا تكفي أجور ومصاريف هكذا مشاركات دولية، ومن هنا تجد أن كل الباحثين العرب المشاركين في هذا المؤتمر هم شأننا نحن كباحثين عرب في مؤسسات غربية تتحمل على عاتقها نفقات مشاركتهم في المؤتمرات الدولية. أضف الى أن أسلوب البحث العلمي البحت الذي نعالج فيه موضوعاً دينياً إسلامياً ليس ذات تقليد في الدول العربية لأن هذا الموضوع لطالما اندرج في إطار القدسية الدينية وليس في إطار البحث العلمي الصرف.

ويتابع معلوف:

ـ كما لاحظت فإن معظم الباحثين الأجانب المشاركين يتقنون العربية الفصحى أفضل مني ومنك وملمون بتقاليد العالم العربي وعاداته، ومن هنا فإن مقاربتهم لهذه المواضيع الغريبة عنهم هي مقاربة موضوعية علمية وصحيحة لأنهم يحيطون بكافة جوانب قضايا العالم العربي، ونحن نأمل أن يتعمّم أسلوب المعالجة العلمية الموضوعية هذا على باحثينا في العالم العربي ونأمل أن تساعد هذه المؤتمرات في نشر ثقافة المعالجة العلمية هذه.□

بول ماروديس